

**دراسة لبعض مغالطات المصادر التاريخية
وتناقضاتها**

**«تحفة الزائر ومآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر»
أنموذجاً للدراسة**

**الدكتورة بشرى خيربك
جامعة دمشق**

دراسة لبعض مغالطات المصادر التاريخية وتناقضاتها

((تحفة الزائر ومآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر))

أنموذجاً للدراسة

الدكتورة بشرى خيربك

جامعة دمشق

١ - تمهيد

((التاريخ ضمير الأمة الواعي، وإن دراسة تاريخ أي أمة إنما ينتهي بالدارس إلى كشف الغطاء عن محتويات هذا الضمير، فإذا تيسر له ذلك اتضح له من الماضي ما قد يفسر الحاضر كلياً، أو قد يقتصر التفسير على شيء جزئي وفي الحالتين يلقي درس الماضي أضواء على الماضي))^١ لذلك من المهم دراسة هذا التاريخ وبحثه وكتابته بشكل غير تقليدي وإخضاعه للتجريح والتفسير والتحليل والنقد قبل أن يدرس في المدارس والمعاهد، وقبل أن يقدم للمختصين وللمتقنين على السواء، وينبغي أن يتم ذلك بطريقة وافية دقيقة صحيحة، بقدر ما في طاقة المؤرخين من جهد وصدق وأمانة وعدل وذكاء وإحساس وذوق، على أن يكون هدفهم الحقيقة التاريخية بقدر المستطاع^٢ لأن الحقيقة التاريخية سواء كانت ايجابية أم سلبية فهي الدرس والعبرة التي تتعلم منها الشعوب كي تتجنب الذل في مسيرتها نحو التطور والرفق.

وتزداد أهمية التاريخ كعبارة ودرس بازدياد أهمية الموضوع، وأخص بالذكر في هذا المجال الدراسات التاريخية التي تتناول حياة أشخاص كانوا فاعلين في المرحلة الزمنية التي عاصروها، وأصبحوا من أهم الرموز في التاريخ العربي، مثل الأمير عبد القادر الجزائري ١٨١٧ - ١٨٨٣ م، الذي تعددت الكتابات حوله على اعتبار أنه أبرز وجوه المقاومة الجزائرية، لأن جهاده ضد فرنسا لم يكن رد فعل عفوي أو محلي، بل كان رد فعل واع يعكس روح أمة أرادت التحرر من الاستعمار. وقد أدرك الأمير بوضوح ضرورة هذه الأمة وشروط وجودها. وسبب إدراكه أنه كان زعيماً من طراز مختلف وجديد لم تعرفه الجزائر من قبل، فالأمير لم يكن وريث زعامة سياسية أو إدارية أو عسكرية أو إقطاعية، إنما كان وريث دار علم ومعرفة وعراقة نسب، فهو ينتسب إلى الأدارسة الذين حكموا المغرب العربي ما يقرب من مائتي عام ٧٨٨ - ٩٥٨ م^٣.

وعلى الرغم من سيرة هذا الأمير الجهادية بأشكالها المختلفة، سواء في وطنه الأم الذي شهد ولادته - أي الجزائر - أو في مدينة دمشق التي ضمت جسده مروراً برحلته في دار هجرته، فقد تناولته بعض الدراسات بشكل غير منهجي، وأطلقت عليه أحكاماً كان عليها التمهيد والتدقيق فيها، ودرستها ضمن ظروفها التاريخية، وهذا مبرر كتابة هذا البحث الذي لن يتناول هذه الدراسات المغرضة أو تكرار ما كتب عنها، وإنما دراسة بعض المقتطفات من مصدر قد يعتبر من أهم المصادر حول سيرة الأمير ومقاومته وهو ((تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر))^٤ لمؤلفه محمد باشا بن الأمير عبد القادر الجزائري الحسني ١٨٣٩ - ١٨٦١ م^٥.

٢ - أهم المصادر التي تناولت حياة الأمير:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت حياة الأمير عبد القادر الجزائري، غير أن هذه الدراسات سواء منها العربية أم الأجنبية لم تغط حياة الأمير بشكل واف، حتى

الفرنسيين الذين اهتموا بالأمير ولاسيما بعد خروجه من الجزائر ١٨٤٧ م، والذين يملكون الكثير من الوثائق عن حياته وعلاقاته ومجالات تفكيره، ((لم يكتبوا عنه إلا أشياء متفرقة موجهة ترمي في الغالب إلى إثبات تفوقهم من ناحية وتخدير الجزائريين بإثبات صداقة الأمير للفرنسيين بعد حربه لهم من ناحية أخرى))^٦. ومن أهم هذه الدراسات ما كتبه ((اسكندر بيلمار)) تحت عنوان ((عبد القادر: حياته السياسية والعسكرية)) وبيلمار كان مترجماً وعلى صلة بحياة الأمير، وقد وضع كتبه متأثراً بتدخل الأمير في أحداث الشام ١٨٦٠م ونشره في باريس عام ١٨٦٣م. ولم يتناول بيلمار سوى الجانب السياسي والعسكري من حياة الأمير.

ويأتي بعد ذلك كتاب الكولونيل ((بول ازان)) الذي ظهر سنة ١٩٢٥م وهو كتاب فيه الكثير من التحليل والاجتهاد الشخصي في تفسير النصوص، ولكن يؤخذ على المؤلف أنه كرجل عسكري أراد أن يثبت المكانة العالية لقواد الجيش الفرنسي لأنهم كانوا يحاربون خصماً عنيداً، أيضاً فإن كتاب ((ازان)) سار في خط واضح سار عليه معظم الكتاب الفرنسيين وهو أن الأمير قد أصبح بعد سنة ١٨٤٧م صديقاً وياً للفرنسيين. ورغم تغطية ((ازان)) لكل حياة الأمير، فانه مثل بيلمار ركز على الجوانب السياسية والعسكرية من حياة الأمير. أما باقي الأعمال مثل ما كتبه ((ليون روش)) تحت عنوان ((اثنان وثلاثون سنة عبر الإسلام)) وقد صدر في باريس في جزئين عام ١٨٨٤ - ١٨٨٥م. والجنرال ((دوما)) الذي خلف عدداً من الوثائق المهمة عن الأمير. ورغم عدم جمعها في كتاب واحد فقد استفاد منها بيلمار، واستعار منه تشرشل - دون أن يشير إلى ذلك - واستخدمها ازان^٧. وغير ذلك مما كتبه الضباط والقناصل والمترجمين الفرنسيين الذين شغلوا لدى الأمير مناصب معينة، فإن كتاباتهم تدخل في الانطباعات الشخصية والأحداث الشاملة أكثر من كونها أعمالاً متكاملة عن حياة الأمير^٨.

وتأتي ترجمة شارل هنري تشرشل للأمير كعمل جامع لعدة جوانب إيجابية افتقرت إليها الأعمال الأخرى سواء كانت عربية أم فرنسية، ولكن كما كتاب بيلمار فقد وقف تشرشل في كتابه عند حوادث سنة ١٨٦٤م لتظل تسع عشرة سنة من حياة الأمير مجهولة^٩. ولم يصدر عملاً إنكليزياً عاماً بعد الذي أصدره تشرشل سوى كتاب ((بلانت)) الذي ظهر عقب الحرب العالمية الثانية تحت عنوان ((صقر الصحراء: عبد القادر الجزائري والاحتلال الفرنسي للجزائر)) والذي صدر سنة ١٩٤٧ م في لندن، وكما ذكر ((بلانت)) فإنه لم يأت بجديد وأن اعتماده كان كبيراً على تشرشل وأيضاً على أهم الأعمال الفرنسية التي وضعت عن الأمير^{١٠}.

لم تحظ حياة الأمير بدراسة وافية لكل جوانب حياته من قبل معاصريه رغم تعدد الدراسات الأجنبية التي تناولته، وفي الكتابات الأخرى لا نكاد نجد عن الأمير ((سوى الالتزام العاطفي نحوه، إعجاباً ببطولاته الشخصية أو بمواقفه السياسية. أما الروح العلمية والمجردة والمناقشة الهادئة لدور الأمير سواء في الجزائر أو خارجها فلا وجود له بالعربية أيضاً))^{١١}. وبالنسبة للترجمة التي وضعها الأمير ((محمد بن عبد القادر)) تحت عنوان ((تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر)) فهي كما ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله ((.. فإنها ليست خالية من العيوب الأساسية. ذلك أن افتقارها إلى المنهج، واحتواءها على المبالغات وأسلوبها العاطفي تنزع عنها صفة الترجمة الشخصية الجادة، بالإضافة إلى اعتماد الأمير على نقول غير منظمة من الكتب الأجنبية...))^{١٢} التي قد يكون بعضها مغرضاً فأوقعت المؤلف بمغالطات تاريخية ليس بقصد الإساءة إلى والده طبعاً، وإنما لعدم دراسته هذه المصادر دراسة نقدية واعية في مرحلة تاريخية كانت فيها الدول الاستعمارية بشكل عام وليس فرنسا فقط تدعّم استعمارها المسلح للجزائر باستعمار ثقافي مدروس وممنهج.

ورغم كل ما سبق ذكره فإن كتاب الأمير محمد ((تحفة الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر)) يبقى من أهم المصادر التي تناولت حياة الأمير لأسباب عدة أهمها: أن مؤلف

الكتاب هو ابن الأمير عبد القادر، وهذا ما يجعل الباحثين يتقنون بكل معلومة قد وردت في الترجمة دون دراسة أو تمحيص لقناعتهم بمصداقية كل ما ورد دون أن يخطر ببال العديد من الباحثين أن المؤلف قد اعتمد عند تأليفه الكتاب على مصادر غربية لم يقيم بدراستها بدقة، ولكن لا يمنع ذلك من القول أن كتاب ((تحفة الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر)) كتاب مهم خاصة فيما يتعلق بتفاصيل مقاومة الأمير عبد القادر للفرنسيين في الجزائر بين عامي ١٨٣٠م و١٨٤٧م^{١٣}، وأيضاً فيما يتعلق بحياة الأمير في دمشق.

وما سبق ذكره من نقد ليس فيه تجن على المؤلف لأن من شرح وعلق على كتاب ((تحفة الزائر)) الدكتور ممدوح حقي عندما نشره عام ١٩٦٤ م ذكر أن المؤلف قد سجل في كتاب ((تحفة الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر تاريخ حياة والده الأمير عبد القادر.... تسجيلاً يكاد يكون يومياً. وسرد فيه رسائله ورسائل سواه ممن لهم أدنى تعلق به فما مرت به حادثه، حتى استوفاهما بحثاً. وأشبعها نقلاً فهو - بهذا المعنى - ليس كتاباً في التاريخ، كما نفهمه نحن أبناء هذا القرن من المثقفين ثقافة عصرية عالية، بل كتاب في سيرة الرجل، وقصة متحدث عادي، لم يناقش حادثاً مبالغاً فيه. أو يتعرض لقصة مستغربة بالتمحيص. أو يلم الموضوع لما علمياً. أو ينظر إليه بمنظار موضوعي إلا عرضاً وفي القليل النادر، وبصورة سطحية جداً))^{١٤}.

ويضيف ممدوح حقي ((ولهذا لن نحاسبه، على نظراته الضيقة الخاطئة، في بعض المفاهيم التاريخية، أو تقصيره، في فهم الأسباب السياسية والاقتصادية لتجيش فرنسا الجهود العسكرية، ضد الجزائر. ولن نؤاخذه في تهاونه بغربة الأنباء والأحداث، أو جهله بربط الأسباب بالنتائج، فذلك أمر، لا يدخل في حساب كتب السيرة، ولا في طريقته))^{١٥}.

وكما يذكر مؤلف ((تحفة الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر)) فإن كتابه قد تعرض للسرقة حيث ((... سطت عليه يد من لا يبارك الله بأصله ونسله وسرقته عمداً من حرز مثله.... ثم شمرت عن ساعد الاجتهاد. لجمع ما تفرق من المواد بعد أن فقد منها الأكثر وبقي من المسودة ما لا يُذكر فجاء مطابقاً للأصل...)).^{١٦}. ولكن لم يذكر لماذا تمت السرقة ولا من سرقها؟ وترك الموضوع يجلبه الغموض والتساؤلات، ولا يستطيع أحد كشف الغطاء عن هذا السر سوى أقرب الناس إليه، وكما ذكرت الأميرة بديعة الحسني الجزائري، حفيذة الأميرة زينب ابنة الأمير عبد القادر^{١٧} أن جدتها وباقي أحوالها كانوا يقيمون إلى جوار المؤلف في حي العمارة، ودورهم في ذلك الحي كانت متلاصقة، وكأنها دار واحدة، وكانت تعرف وبالتواتر أن الكتاب لم يُسرق فقط وإنما حُرِق أيضاً والعائلة تعرف من قام بذلك ولماذا، والنار لم تأت على كامل الكتاب.

وكما تذكر الأميرة بديعة فإن أخوة المؤلف فرحوا عندما عرفوا أن أخاهم محمد باشا يؤلف كتاباً مهماً، ولكن بعد أن اطلعوا عليه، وقرؤوا ما كُتِبَ حول قرار الأمير بإنهاء الجهاد والهجرة والطريقة التي عرض الفكرة فيها ((... وألقينا السلاح إلى الفرنسيين.... ألخ))^{١٨} وقع خلاف بين المؤلف الأمير محمد باشا وإخوته فقرروا إحراق الكتاب، وأستغل أحدهم غياب المؤلف فأرسل أحد خدمه إلى غرفة أخيه محمد وجلب المسودة ليحرقوها قبل أن تصل إلى المطبعة، ولكن بقي بعض الأوراق منها، لذلك قال المؤلف في مقدمة الكتاب ((ذهب الكثير ولم يبق سوى القليل))^{١٩}، وعندما عاد المؤلف لإعادة تأليف الكتاب عاد وكرر ذكر ما كان قد ذكره في المسودة الأولى عن إلقاء والده الأمير عبد القادر السلاح واستسلامه.

ولكن تهاون المؤلف في غربة الأنباء والأحداث، لا تمنع من دراسة بعض المقطعات مما جاء في هذا المصدر المهم، وأهمها الظروف التي أحاطت بإنهاء الأمير عبد القادر مرحلة الجهاد وخروجه من الجزائر عام ١٨٤٧ م، وهل كان المؤلف محمد

باشا قادراً على فهم المعطيات التي أحاطت بهذه الهجرة وهو طفل في السابعة من عمره والتي كان سرده لأحداثها سبب سرقة الكتاب وحرقه من قبل أقاربه الذين وجدوا في ما سُرد تجنياً على الأمير. وأيضاً مناقشة رأي الأمير حول تعليم المرأة القراءة والكتابة.

٣ - لمحة عن حياة الأمير عبد القادر الجزائري الجهادية:

ولد الأمير عبد القادر الجزائري^{٢٠} في وهران عام ١٨٠٨ م، وقد ظهرت براعته كشاب مجاهد منذ أن قام والده محي الدين بهجمات على وهران ضد الفرنسيين، وفي ٢٤ تشرين الثاني من عام ١٨٣٢ م، بويع عبد القادر كأمر وزعيم للمجاهدين وكان عمره أربعاً وعشرين عاماً، وتمت البيعة لعبد القادر من أجل جهاد الفرنسيين، ومن أجل إنقاذ البلاد من الفوضى والفتن وجمع الكلمة، وقد لقب آنذاك بناصر الدين، وكانت حكومة الأمير تختلف اختلافاً بيناً عن الحكومة الجزائرية التركية السابقة، فالأمير لم يُنصب حاكماً بفرمان من سلطة أو سلطان خارج الجزائر، بل تلقى البيعة رضا من سكان ملوا الفوضى، وخافوا من خطر الاحتلال الأجنبي لذلك فإن البيعة بمثابة وضع الثقة التامة بشخص الأمير وتفويضه تفويضاً عاماً بالتصرف لإنقاذ البلاد من الفوضى والاحتلال^{٢١}.

وبين عامي ١٨٣٢ - ١٩٣٧ م تمكن الأمير من قيادة الجهاد ضد الفرنسيين ببراعة ووقع خلالها مع فرنسا معاهدتي ديميشيل ١٨٣٤م، وتافنه ١٨٣٧م^{٢٢} بغرض كسب الوقت لاستكمال أسباب تنظيم وتوطيد جبهته الداخلية لإنهاء الأساس الأول الذي ترتكز عليه حربه ضد الفرنسيين. ومعاهدة تافنه التي لم يسر العمل بها سوى سنتين وخمسة أشهر تعتبر حلقة هامة في تاريخ الجزائر لسببين أولهما: أنها النص الوحيد المعترف به من الحكومة الفرنسية كاتفاق رسمي بينه^{٢٣} وبين حكومة جزائرية في عهد الاحتلال.

وثانيهما: لأن نصوص المعاهدة كانت مثار جدل بين الطرفين. أضف إلى ما تقدم أن السنتين اللتين تبعتا معاهدة تافنة قد أتاحتا للأمير التفرغ لمقاومة عصيان القبائل والطرق الصوفية، إضافة إلى بسط سيطرته على ثلثي الجزائر بحيث أصبح الفرنسيون^{٢٤} محصورين في وهران والجزائر وفي جزء من بيليكه قسنطينه، غير أن هذه المعاهدة قد تصدعت بسبب إصرار الفرنسيين السيطرة على قسنطينه إلى جانب توسع الأمير نفسه نحو هذه البيليكية التي كبد فيها الأمير عبد القادر الفرنسيين خسائر فادحة، بعد أن حرهم عن مناطق كثيرة. مما دفع بعض النواب الفرنسيين للقول عام ١٨٤١م: ((إن إفريقية هي الخراب أثناء السلم والضعف أثناء الحرب، إن إفريقية شر وجنون....))^{٢٥} ولكن بانتهاء أزمة محمد علي في بلاد الشام أواخر ١٨٤٠ م تمكنت فرنسا من تركيز جهودها في الجزائر وعينت الجنرال بيجو الذي تعهد باحتلال الجزائر كلها وأعلن أن ((...الاحتلال الناقص وهم، إن احتلال الجزائر خطأ ولكن ما دمتم ترغبون فيه فينبغي أن تعملوه بقوة...))^{٢٦}.

تمكن بيجو من محاربة القبائل المناصرة لعبد القادر، وبإتباعه سياسة الأرض المحروقة (دمر - احرق - انهب) تمت له السيطرة على ٥/٦ من أراض الأمير عام ١٨٤١م إضافة إلى سيطرته على قلاع الأمير ومستودعاته ومعظم جيشه النظامي مما اضطر الأمير اللجوء إلى المغرب حيث لقي الدعم والتأييد^{٢٧}، ولكن اتفاق طنجة بين فرنسا والسلطان المغربي سنة ١٨٤٤ م واعتبار الأمير خارجاً عن القانون في المغرب فرض على الأمير العودة إلى الجزائر، حيث أحرز عدة انتصارات على الفرنسيين الذين اشتد ضغطهم عليه مرة أخرى مما اضطره للجوء إلى المغرب. ولكن انكلترا التي كانت تخشى تدخلاً فرنسياً جديداً في المغرب، تدخلت لدى السلطان المغربي وذكرته أنه اعتبار الأمير خارجاً عن القانون، وبدأت الإشاعات تتهم الأمير بأنه يرغب في إنشاء دولة مستقلة في الريف وأنه يسعى لخلع السلطان.

لم يعلن عبد القادر نفسه رئيس دولة تسمى الجزائر، بل اعتبر حكومته من الناحية القانونية تابعة لسيادة سلطان مراكش الذي كان يتمتع بهيبة تقليدية في شمال أفريقيا، وكان يؤكد دائماً على هذه التبعية في مراسلاته التي كان يطلب فيها أسلحة من البريطانيين بواسطة قنصلهم في طنجة^{٢٨}. ورغم ذلك فقد صمم السلطان عبد الرحمن على إخراج عبد القادر من بلاده بالقوة، فوجه جيشاً كبيراً بقيادة اثنين من أبنائه لطرده عبد القادر أو القبض عليه رغم احتجاج الكثيرين من علماء فاس، وقد خسر عبد القادر أول معركة دارت مع الجيش المراكشي في ١٥ ديسمبر ١٨٤٧ م. واعتماداً على ما ذكر صاحب كتاب ((تحفة الزائر)) فقد شعر الأمير أنه لم يعد هناك أمل في المقاومة ففضل ((الاستسلام)) للفرنسيين بشرط السماح له بالسفر إلى الإسكندرية أو عكا، وهذا ما ذكر في مجمل المصادر والمراجع، فوافق الجنرال الفرنسي لامورسيير الخبير بالشؤون الجزائرية، والدوق دومال حاكم الجزائر الذي حل محل الجنرال بيجو منذ تشرين أول ١٨٤٧م على طلب الأمير. وكان بيجو قد ترك منصبه لخلافه مع حكومته التي لم تؤيده في متابعة الحرب ضد الأمير وأسر^{٢٩}. أما الدوق دومال وهو من أسرة لوي فيليب المالكة، فكان يرغب فعلاً في احترام كلمته، غير أن المعارضة في فرنسا كانت بلغت ذروة قوتها قبيل سقوط الملكية. واحتجت -أي المعارضة - بأن عبد القادر إن ذهب إلى مصر فإنه سيصبح أخطر مما لو ترك طليقاً في الصحراء^{٣٠}.

ومن مرسى ((جامع الغزوات)) قرب الحدود المغربية حيث المكان الذي سلم الأمير نفسه، اتجه إلى سفينة أمموه لتنتقله إلى طولون تمهيداً لنقله إلى عكا أو الإسكندرية كما طلب الأمير. إلا أن نظام الملكية سقط في باريس وحلت محله حكومة الجمهورية الثانية التي نكست الوعود التي كان عبد القادر قد وعد بها، وأعتبر الأمير ومن معه أسرى، وأودعوا قلعة (باو)، ثم نقلوا إلى قصر قديم أقل صلاحية للإقامة في مدينة (امبواز) في حوض (الوار) في فرنسا، حيث عانى الكثير من التضيق والإهانة

حتى عام ١٨٥٢م، وعندما انتقلت السلطة إلى نابليون الثالث أطلق سراح الأمير سنة ١٨٥٢م، وطلب من الأمير أن يتخذ من فرنسة وطناً ثانياً له، ولكن الأمير رفض ورحل إلى الشرق براتب من الحكومة الفرنسية.

وكانت محطة الأمير الأولى في استنبول حيث التقى السلطان العثماني عبد المجيد خان ١٨٣٩-١٨٦١م وعدد من السفراء الأجانب، إلا أنه فضل الإقامة في مدينة بورسه (بورصه) لتاريخها العريق ومناظرها الخلابة ومعالمها الأثرية، ولكنه لم يبق فيها طويلاً نتيجة الهزات الأرضية التي كانت تضرب المنطقة من حين لآخر، فانتقل إلى دمشق عام ١٨٥٥ م بتقويض من السلطان العثماني، وفيها تفرغ للقراءة والفقهاء والحديث. وفي دمشق سجل للأمير أهم المواقف الإنسانية وهي تصديه عام ١٨٦٠م للأحداث المفجعة التي حصلت في دمشق^{٣١}، والتي دافع فيها عبد القادر عن المسيحيين بكل غيرة ومروءة وتمدن، حتى أن السلطان العثماني عبد المجيد كافأه بإرسال كتاب تفخيم واحترام مع النيشان (الوسام) المجيدي من الرتبة الأولى ((بل وتواردت عليه كتابات بقية الملوك مع النياشين ذوات الفخر والقدرة^{٣٢})) مما أعطى الأمير مكانة عالمية كأحد أهم رجالات العصر.

زار الأمير العديد من مدن المشرق وألف العديد من الكتب وكانت وفاته بدمشق في عام ١٨٨٣م، ودفن بجوار الشيخ محي الدين ابن عربي. ومنذ سنوات قليلة تم ترميم بيت الأمير الواقع في ضاحية دمر غرب دمشق والذي كان مصيفاً للأمير في ((الربوة)) على ضفاف نهر بردى، ليكون أحد المعالم السياحية في سورية. ولم يكن هذا القصر المنزل الوحيد للأمير ولم يكن محل إقامته الدائم، فمن المعروف أن منزله هو الذي منحه إياه السلطات العثمانية بـ ((حارة النقيب)) في حي العمارة بدمشق القديمة.

٤ - نهاية كفاح الأمير في الجزائر:

تعرضت الجزائر بعد نقض معاهدة التافنة التي عُقدت عام ١٨٣٧م إلى حرب إبادة من قبل المستعمر الفرنسي استخدمت فيها كل أساليب الحرب الوحشية للقضاء على كل مقاومة في الجزائر، ولم يأت عام ١٨٤٢م إلا وقد سقطت كل المراكز والمدن التابعة للأمير عبد القادر، فجمع الأمير وقتذاك أنصاره في شبه مدينة منتقلة كان مسرح نشاطها في الإغارة على الفرنسيين مابين جبال الأطلسي وحافة الصحراء، لذلك كان هم الفرنسيين العثور على مدينة الأمير المنتقلة أو ((الزماله)) كما كانت تعرف آنذاك^{٣٣}، وقد كاد الدوق ((دومال)) أن يقبض على الأمير قرب ((بوغاز)) إحدى الواحات جنوبي وهران لولا أن أنقذه فرسه السريع، غير أن عدداً كبيراً من جنود الأمير النظاميين وبعض أقاربه والعديد من المدنيين قد وقعوا في الأسر.

فكر الأمير بأن البقاء في الجزائر قد أصبح مستحيلاً بعد الذي حصل له، ولكن ذلك لم يدفعه لقبول عرض الجنرال ((بيجو)) بأن يسلم نفسه رغم وعده إياه بمعاش محترم وحرية الإقامة في الأستانة، إنما أثر الأمير الالتجاء إلى مراكز حيث ينتظر فيها قليلاً، ومن ثم يستأنف المقاومة عندما تتاح له الفرصة، ودليل ذلك مراسلته للحكومة البريطانية والتركية مستجداً بهما ضد الفرنسيين^{٣٤}.

حاول الأمير أن يستثير الرأي العام المغربي، رغم إدراكه للحرص الذي سوف يشكله للسلطان إذا ما اضطر إلى إعلان حرب رسمية على الفرنسيين، ولكن الرأي العام المغربي بنفسه دفع مولاي عبد الرحمن إلى حرب واسعة النطاق مع الفرنسيين، بسبب احتلال الجنرال ((بيجو)) أثناء تتبعه للأمير ((لالا مغنيه)) وهي إحدى أهم النقاط الإستراتيجية على الحدود المراكشية^{٣٥}. غير أن فرنسا كانت قد وجهت تحذيراً إلى السلطات المغربية بوجوب التخلي عن مساعدة الأمير وسحب قواته من وجده مرفقة تحذيرها بتوجيه قوة بحرية إلى المياه المغربية أخرجت موقف السلطان المغربي تجاه

الأمير ولكنه بنفس الوقت أبدى استعداداً للتفاوض مع الفرنسيين الذين كانوا قد شرعوا في التدخل العسكري في عددٍ من المناطق المغربية، ولكن تصدى انكلترا لفرنسة أجبر الجنرال ((بيجو)) إلى التوقف، وقبل السلطان في اتفاق طنجه سنة ١٨٤٤ م اعتبار الأمير خارجاً عن القانون في المغرب وملاحقته وحجزه في أحد الموانئ المغربية حتى يتبنى الطرفان باتفاق بينهما الوسائل الكفيلة بمنعه من العودة إلى السلاح^{٣٦}.

عاد الأمير مضطراً إلى الجزائر، التي كانت تشهد العديد من الثورات في وجه وحشية المستعمر، وبدأ بدوره يستعيد قوته التي فقدتها ليتابع بدوره المقاومة في تافنة وأحرز عدة انتصارات في معركة الغزوات وسيدي موسى، ولكن ((بيجو)) سير ثمانى فرق لمطاردة الأمير، وعندما اشتد الضغط عليه اضطر مرة ثانية للجوء إلى المغرب، ولكن انكلترا التي كانت تخشى تدخلاً فرنسياً جديداً في المغرب تدخلت لدى السلطان وذكرت أنه اعتبر الأمير خارجاً عن القانون، ولما شعر الأمير أنه لم يعد هناك أمل في المقاومة فضّل الهجرة إلى المشرق لتتداعى الأحداث بعد ذلك كما سبق وذكر^{٣٧}.

٥ - دراسة بعض الأفكار التي أوردها الأمير محمد في ترجمته لوأله:

تناول المؤلف في كتابه ((تحفة الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر)) - وهنا سأستخدم المفردات التي استخدمها المؤلف ثم أقوم بدراستها - وبالتفصيل الأحداث التي أحاطت بإنهاء الأمير عبد القادر لجهاده العسكري بعد أن استشار مجلسه الحربي، ثم كيف ((سلم)) نفسه ولكن من خلال شروط محرره، ومن ضمن الشروط طلب الأمير ((أن يحملوه مع جميع عائلته إلى عكا أو الإسكندرية))^{٣٨}.

لم يستسلم عبد القادر ((بل كان يعتبر أن المسلم ملزم بالهجرة إذا لم يتمكن من التصرف كمسلم في المنطقة التي يحتلها العدو...))^{٣٩}. والمسلم إذا أحاطت به الأحداث من كل جانب وأصبح محاصراً ومهدداً بحياته وكرامته ودينه جازت له الهجرة الشرعية، كما فعل رسول الله (ص) حينما حوَصر وهُدِدَ بحياته وأمر مسلمي

مكة بالهجرة إلى الحبشة. فالأمير عبد القادر عقد اتفاقاً رسمياً مع عدوه بطلب عدم منعه من الهجرة إلى عكا، والأمير لم يذكر كلمة هجرة لأنهم لا يفهموها بالمفهوم الشرعي الذي يقصده، فخاطبهم بمفاهيمهم، بل ذكر لهم أن طلباته هي طلب استئمان زمني^{٤٠}.

(والمستأمن شرعاً: هو الحربي الذي دخل دار الإسلام بأمان دون نية الاستيطان بها والإقامة فيها بصفة مستمرة، بل يكون قصده إقامة مدة معلومة لا تزيد على سنة)^{٤١}، واكتفى الأمير بطلب باخرة تنقله مع عائلته إلى عكا أو الإسكندرية بعد وقف الحرب، والأسباب التي دعت له لذلك هي المعارك بين قواته وبين قوات إسلامية في الجوار الشقيق، التي حولت مجرى المعارك والمقاومة ضد المحتل، وقرر وقف الحرب ثم طلب باخرة وطلبه هذا كان خاضعاً للقبول أو الرفض من طرف العدو الفرنسي، ولكن العدو رحب بقراره ووافق على طلباته وهي أولاً: وقف الحرب. وثانياً: عدم منع من يريد مرافقته. وثالثاً: عدم التتكيل بأنصاره في الجزائر بعد خروجه.

أيضاً ما ينافي فكرة استسلام الأمير نجدها في نهاية الصفحة ٥٢٧ من كتاب ((تحفة الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر)) عندما ذكر المؤلف رسالة والده الأمير لوزير الحرب لامورسيير بقوله: ((لما تقلد الجنرال ((لامورسيير)) وزارة الحرب، واتصل خبره بالأمير وهو في (بو) سرّاً بذلك ظناً منه أنه يوفي بعهده. فكتب إليه: يهنئه ويذكره بالميثاق، والقيام بواجب الوفاء. وفي جملة ما كتبه الأمير عبد القادر: ((.. إن كثيراً من لا إمام لهم بما وقع، بيني وبينك، يعتقدون: أنك غلبتني في الحرب. وأجبرتني على التسليم، وإلقاء السلاح. لك أن توضح لهم القضية. وتوقفهم على ما جهلوه من أمرنا - وبذلك تجد منهم من يسعفك. ويأخذ بيدك، في الوفاء بعهذك، الذي هو في الحقيقة عهد دولة فرنسة، بل الشعب كله، لكونك كنت - وقتئذ - رئيس جيوشهم، ونائب ملكهم، في كل ما تجريه. وبالجملة، فإن وفيتهم، فإنكم تتألون فخراً كبيراً، بين الأمم والدول. وإن نقضتم وأخلفتم، فلا شك أنكم مرتكبون - في ذلك -

أمراً شنيعاً يسقط به قدركم ويقبح بارتكابه ذكركم، في العالم كله. حرر في سابع شعبان سنة خمس وستين ومائتين (١٢٦٥) والسابع والعشرين من يونيو (حزيران) سنة تسع وأربعين وثمانمائة (١٨٤٩)^(٤٢).

وكما يذكر صاحب تحفة الزائر: ((... فحرك هذا المكتوب، (دي لامورسيير) سواكن الإحن فأمر بنقل الأمير من بو إلى (امبواز).... وبعد وصوله إلى امبواز، جاء أمر وزير الحرب (دي لامورسيير) للموكلين بهم: أن لا يكون للأمير، ولا لأحد من رفاقه، علاقة مع أحد، من الخارج لا لسانية ولا قلميه...))^(٤٣). ترى أليس فيما ذكره المؤلف تناقضاً لما تم ذكره في صفحة ٤٩٩ عندما أورد نتيجة اجتماعه مع مجلسه الحربي وإقرارهم التسليم إلى الفرنسيين.

أيضاً مما يُعزز الرأي بأن الأمير لم ((يستسلم)) لأنه وصل إلى حد عدم قدرته على الجهاد حتى الموت - وإنما لظروف تلك المرحلة التي فرضت عليه وقف القتال - ما أورده صاحب ((تحفة الزائر)) وأيضاً ما أورده شارل هنري تشرشل من لوم مجلس النواب الفرنسي للجنرال لامورسيير في قبوله تسليم الأمير وخطأه في ختم الشروط التي اشترطها الأمير عليه - أي على لامورسيير - وضرورة جعل الأمير أسير حرب ورد الجنرال على المجلس بالقول: ((إن هذا اللوم الشديد وقع علي، بجنحي للسلم، في موضع، يجب فيه الحرب، بزعمكم !! وأنا أتُحقق: أنني لو ركبت الخطر، بالزحف على عبد القادر، ما رجعت إلا بخيمته وسجاده !! وإنه ليذهب إلى الصحراء، بحيث لا يمكنني أن أصل إليه. وهذا، أكد عندي، من أن يقع في يدي لأن عبد القادر، ذو صلابة في دينه، مشتهر: بالصدق والأمانة في وطنه، شديد التمسك بمبادئه. وهذا، الأمر الأوحَد، والسبب الأعظم الداعي لاجتماع القلوب عليه. وإن مبدأه الفريد: وهو الذي شهره في جميع الجهات. ولاشك أن الظفر الذي حصل للرجل، الذي حاربناه، في وقائع، هو ثمرة ما قرناه. ومن كان هذا شأنه وسيره، فلا بد وأن يحدث خطراً عظيماً، إن ترك في بلاده. وأظن أنني ما سلكت، إلا جادة الصواب

ومع هذا فأرجعوه إلى محله، مع القوة التي كانت معه فقط. وأمسكوه عنوة!! وأنا، والحاكم العام ما قبلنا تسليمه إلا على شروطه، إلا أننا اخترنا: راحة فرنسة، وعساكرها التي أضنكها التعب، وكثرة المصارف من غير طائل نحصل عليه، من جهة الأمير، والقبض عليه. فسكتوا، وانفض المجلس. فأقام الأمير في امبواز...))^{٤٤}.

ومن جملة المغالطات التي وردت في ((تحفة الزائر)) المطبوع عام ١٩٠٣م وتم حذفه من طبعة ١٩٦٤م، ما وضع تحت عنوان: ((ذكر توجه الأمير إلى باريس ولطائف أخباره وما هبت به نسائم رحلته المعطرة بنفحات أثره)) في صفحة ٣٩ من الجزء الثاني حيث يذكر ((... غير أنني لما كنت في امبواز قبل سفري هذا عذمت على أن أجدد عهدي الذي أعطيته للجنرال لاموريس وأفعل ذلك باختياري.. إنما المتكلم بين أيديكم... بعد أن نلت إحسانكم الذي لا ينسى وأنا عاجز عن مقابلته بالشكر والتثناء أن أخون وأفعل شيئاً ينافي المعروف كيف والمعروف رباط معلق بأعناق أهل المروءة هذا مع كوني قد شاهدت عظم دولة فرنسة وقوة عساكرها وكثرة غناها واتساع مملكتها فمن ذا الذي يخطر بباله من العقلاء أن يقاومها ويقاقلها هذا ليس بممكن إلا الله الواحد القهار الذي قدمها وملكها الأفاق والأقطار وبعد هذا فإني أؤمل من كرمكم أن تجعلوني في عدد من تحبهم وتنتظر إليهم بعين الرأفة سواء كنت بعيداً عنكم أو قريباً منكم...))^{٤٥}.

إن ما ذكر لا يقبل لعدة أسباب أهمها:

- ١- يدل على اعتراف بجهل الأمير عبد القادر بقوة فرنسة التي استمر في مقاومتها سبعة عشر عاماً، أجرى خلالها اتفاقات هدنة معها، استطاع فيها الأمير عبد القادر أن يأخذ من فرنسة اعترافها باستقلاله، ولو ضمناً، في وقت لم تتمكن فيه فرنسة من الحصول على الاعتراف بسيادتها على الجزائر رغم كل محاولاتها^{٤٦}.

٢- يدل هذا الكلام على جهل الأمير بمساحة فرنسا البلد المحتل لبلاده، وأنه لو كان عالماً بذلك لما حاربها وكأن الموضوع شخصي بينه وبين عدوه، وحين عفت عنه وأكرمته وأحسنّت إليه نسي الماضي. هل يقبل هذا الكلام وبلاده ما تزال تحت سيطرة المحتل. ثم كيف وهو المسلم المتدين يقر بأن الله قدّم فرنسا على غيرها من الأمم وملكها الآفاق.

٣- لم يذكر المؤلف ما هو مصدره لهذه المعلومات، أضف إلى ذلك إن ما ذكر ينسي القارئ كل صفة حسنة سبق وكتبت عن الأمير في الكتاب، لذلك كما يبدو سبب حذفها من الطبعة التي نشرت عام ١٩٦٤م.

٦ - رأي الأمير في تعليم المرأة:

أيضاً مما يثير الجدل في كتاب ((تحفة الزائر)) ما ذكر من أجوبة الأمير على أسئلة دوماس الفرنسية وي وهو جنرال من قواد الجنود الفرنسية الذين كلفوا بمحاربة الأمير عبد القادر في الجزائر، وكان قد عين أثناء هدنة تافنة وكيلاً لفرنسة بـ ((أم عسكر)) وتعلم اللسان العربي واطلع على حياة أهل الجزائر فكتب أسئلة تتعلق بذلك وبعثها إلى الأمير وطلب الجواب عنها، وهذه الأجوبة تحتاج إلى الكثير من النقد والدراسة، وكمثال عنها سؤال الجنرال دوماس حول أهمية التعليم للمرأة، وجواب الأمير الذي تضمن ما معناه من أن شرع الإسلام قد نهى عن تعليم النساء الكتابة بحجة أن المرأة قد لا يمكنها لقاء من تهوى فتكتب له فتكون الكتابة سبباً للفتنة^{٤٧}.

تري كيف يمكن ذكر المؤلف لهذه الحادثة في الوقت الذي كانت أخواته، أي بنات الأمير عبد القادر وجدته أي والدّة الأمير تعرف الكتابة. أيضاً أليس من المعروف عن الأمير اهتمامه بالعلم وأنه بنى مدينة متنقلة من الخيام ((زماله)) وكانت مزودة بمكتبة تحوي آلاف المخطوطات المحمولة على ظهور البغال، فهل يمكن لنا تسفيه الأمير

بمناقشة رأيه بتعليم المرأة وهو المسلم التقي الذي يعرف موقف الدين من العلم، وليس للرجال فقط بل لكل مسلم ومسلمة.

٧ - الخاتمة:

وأخيراً هل يمكن اعتبار توجيه منفي الأمير إلى فرنسة وإيقائه محاصراً في أحد قصورها إلا نوعاً من تشويه سيرة كفاح هذا المجاهد؟. فرنسة لم تقض عليه في وقت كانت قادرة على ذلك، كي لا تجعل منه بطلاً، ويصبح دمه منارة لغيره من المجاهدين. أيضاً فمن خلال إيقائه بأحد قصور فرنسة يُخيل لها أنها قادرة أن تطفئ نار المقاومة في الجزائر وتزرع اليأس في نفوس الناشئة، لأن رمزهم قد فاوض واتفق مع الفرنسيين بل وأقر بفضل فرنسة عليه، بل وتفضيلها أيضاً على باقي الأمم، إضافة إلى ذلك فإن إيقاءه في فرنسة يعيش في أحد قصورها لهو أكبر دعاية للجزائريين لإيقاف الكفاح ضد الاحتلال الفرنسي. وما أورده الأمير محمد من ترجمة عن والده لم يعط هذا المجاهد الثائر حقه، بل أورد بعض الأفكار المنقولة من مصادر غربية، وفيها الكثير من المغالطات التي تخدم المستعمر الذي لا ينظر إلى الثوار كأبطال ومقاومين وإنما مجموعات خارجة عن قوانينهم وعليهم ترويضها والنيل منها. لذلك فإن تكرار المصادر الغربية لكلمة ((استسلام)) بدل اتفاق وتفاوض يجعل من مقاومة الأمير عملاً غير مشروع.

ولكن رغم كل المحاولات الاستعمارية لتشويه سيرة الأمير عبد القادر فقد تناول العديد من الباحثين حياته بكل تفاصيلها وألقوا الضوء على مفاصلها، بل وكثرت الندوات والمؤتمرات والرسائل التي جعلت من دراسة حياة الأمير بكل جوانبها المحور الأساسي لها^{٤٨}.

وإن ما ورد من دراسة لبعض المقتطفات من كتاب ((تحفة الزائر)) ما هي إلا دعوة للباحثين للاجتهاد في دراسة تاريخنا العربي سواء ما كتب من قبل العرب أو

الأجانب، لأن الاستعمار لجأ إلى إحاطة سيطرته العسكرية بسيطرة ثقافية تضمن له طول البقاء من جهة وتوسيع مناطق نفوذه من جهة أخرى، والأمير عبد القادر ليس إلا واحداً ممن طالته هذه الكتابات بالتشويه وعلى وجه الخصوص السنوات التي عاشها بعد انتهاء مقاومته المسلحة. ولكن أهم ما يمكن قوله هو ما ذكره أبو القاسم سعد الله عن الأمير عبد القادر بأن ((.. اسمه ونضاله القديم ومواقفه قد ظلت مورداً ينهل منه المقاومون الجزائريون كما ظلت قوة معنوية تحفز إرادتهم وتساعدهم على شق الطريق))^{٤٩}.

الهوامش

- ١- نقولا زيادة، **التاريخ ضروبه وأبعاده**، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٢م، ص ٧٧.
- ٢- حسن عثمان، **منهج البحث التاريخي**، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٧٠، ص ١٧.
- ٣- امتد حكم الأدارسة ببلاد المغرب من السوس إلى مدينة وهران، وكانت حاضرة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة ببلاد المغرب الأقصى، وقد زال ملكهم بعد أن حكموا قرنين وثلاث سنين. حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي**، ٤ أجزاء، طبعة رابعة، مصر، ١٩٥٨، ج ٣، ص.ص ١٦٢-١٦٧.
- ٤- تم طباعة كتاب تحفة الزائر عام ١٩٠٣م في الإسكندرية في مصر في جزءان في مجلد واحد، وفي عام ١٩٦٤م شرح وعلق ممدوح حقي على الكتاب ونشره بعد أن حذف بعض المقاطع لذلك فقد اعتمدت على الطبعتين.
- ٥- المولود في ((القيطنة)) بضواحي مدينة معسكر من إيالة وهران الجزائر، وهي مزرعة عائلته مقر أجداده، منح رتبة الباشوية من السلطان العثماني ولكن لم يعرف عنه أنه استلم منصباً حكومياً كأخوته إنما كان يمارس الإشراف على أعمال زراعية في مزرعته في ((دير بحدل)) في غوطة دمشق، وهو صاحب كتاب ((تحفة الزائر في أخبار الأمير عبد القادر)) وكتاب ((صافينات الجياد)).
للتفصيل: عدد من الأساتذة، **معجم أعلام الجزائريين في القرن التاسع عشر والعشرين**، منشورات تاريخية وفلسفية، جزآن، جامعة منتوري، قسنطينة، طبعة أولى، ٢٠٠٢م، جزء ١، ص.ص ٢٢٤-٢٢٦.
- ٦- شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة وقدم له وعلق عليه الدكتور أبو القاسم سعد الله، طبعة ثانية، الجزائر، ١٩٨٢، ص ٧.

٧- كان دوما قنصلاً لفرنسة في معسكر إثر معاهدة التافنه (١٨٣٧-١٨٣٩) ثم مرافقاً للأمير في قلعة لامالق، وله عدة تأليف. كما تولى إدارة الشؤون العربية في الجزائر.

٨- تعتبر وثائق دumas عن الأمير هامة جداً، ولكنها لم تجمع في كتاب واحد، وقد استفاد منها بيلمار، واستعار بعضها هنري تشرشل ((دون ذكره بالاسم)) واستخدمها ازان وقد كان ((دوما)) قنصلاً لفرنسة في معسكر اثر معاهدة تافنه (١٨٣٧-١٨٣٩ م) ثم مرافقاً للأمير في قلعة لا مالق، وله عدة تأليف، كما تولى ادارة الشؤون العربية في الجزائر.

٩- حول سبب دراسة شارل هنري تشرشل للأمير عبد القادر الجزائري والطريقة التي تناول فيها هذه الدراسة: المصدر السابق، ص.ص ١٠-١٦.

١٠- المصدر السابق، ص ٩

١١- المصدر السابق، ص ٨.

١٢- المصدر السابق.

١٣- قام الدكتور أبو القاسم سعد الله بجامعة الجزائر بدراسة مقارنة لنسختين مخطوطتين لكتاب تحفة الزائر ضمنها الطريقة التي عثر بها أبو القاسم على المخطوط ودراسة لحياة المؤلف محمد بن الأمير عبد القادر والظروف التي أحاطت بتأليف تحفة الزائر وأهم مصادر هذا الكتاب، ثم مقارنة بين المخطوطتين التي عثر عليهما ولكن لم يتطرق لدراسة المعلومات الواردة في المخطوط. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء تاريخ الجزائر، ٣ أجزاء، دار المغرب الإسلامي، بيروت، الجزء ٢، ص.ص ١١٥-١٤٢.

١٤- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م، ص - ز -

- ١٥- المصدر السابق، ص: ح.
- ١٦- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر...، شرح وتعليق ممدوح حقي. ص.ح
- ١٧- أجريت عدة حوارات معها عن حياة الأمير محمد صاحب كتاب تحفة الزائر، وقصت علي ما تم ذكره في الأعلى.
- ١٨- للتفصيل: العودة إلى هامش ٤٢ من البحث.
- ١٩- محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: ح
- ٢٠- حول نسب الأمير ونشأته وتعليمه: مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة ١٨٤٩م، تنشر لأول مرة، تحقيق: محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح ألجون، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، ٢٠٠٨، ص.ص ٤٦-٦١.
- ٢١- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، طبعة ثانية، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٤١.
- ٢٢- المرجع السابق، ص.ص ٢٣٥-٢٤٠.
- ٢٣- صلاح العقاد، المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٠٦.
- ٢٤- بدأ تكوين عبد القادر لدولته عام ١٨٣٢ م، التي وصلت إلى أقصى اتساع لها سنة ١٨٣٩م، حاول الأمير خلال هذه الفترة إلغاء القبيلة كأساس للوحدات الإدارية في دولته، ولكن الوقت لم يتح له كي يتوسع في هذا الاتجاه. فارس، تاريخ الجزائر....، ص.ص ٢٤١-٢٤٨.
- ٢٥- فارس، تاريخ الجزائر، ص ٢٥١.
- ٢٦- Ch. A. Julien: *Histoire De I ' Agerie Contemporaine*, Paris , 1964 , P. 155.

- ٢٧- قاصري محمد السعيد، العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمن من ١٨٣٣-١٨٤٧، ندوة علمية من تنظيم فرقة البحث: أثار السياسة الاستيطانية في المجتمع الجزائري ١٨٣٠ - ١٩٦٢، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، ٢٠٠٢م، ص ١٧١.
- ٢٨- العقاد، المغرب العربي...، ص ١١٠.
- ٢٩- تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص ٢٤٧.
- ٣٠- العقاد، المغرب العربي...، ص ١٢١.
- ٣١- نظم المتعصبون من المسلمين مذبحة مسيحية بعلم من السلطات العسكرية العثمانية وحتى بمساهمة الجنود الأتراك، فقتلوا وأحرقوا الكنائس والمدارس التبشيرية، واستمرت المذبحة ثلاثة أيام ولولا موقف الأمير عبد القادر الجزائري الذي دافع بشجاعة عن المسيحيين، ووضع قصره تحت تصرف ضحايا التعصب لكانت الأمور قد أخذت مجرى في غاية الخطورة. فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، الطبعة التاسعة، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٥١.
- ٣٢- عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار، ٣ أجزاء، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، ١٩٦٣م، ج ٢، ص ٨٩٧.
- ٣٣- برونو إتيين، عبد القادر الجزائري، ترجمة: المهندس ميشيل خوري، طبعة ثانية، الجزائر، ٢٠٠١، ص. ص ٢٠١-٢٢٣.
- ٣٤- لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ص. ص ١٩٤-١٩٦.
- ٣٥- Ch. Julien: P. 194.
- ٣٦- فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ص ٢٥٧.
- ٣٧- العودة إلى صفحة ٨، أيضاً: تشرشل، حياة الأمير...، ص. ص ٢٤٢-٢٩٦.
- ٣٨- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر، ص ٤٩٩.
- ٣٩- إتيين، عبد القادر الجزائري، ص. ص: ٢٢٦-٢٢٩.

- ٤٠- وهذا ما ذكره شارل هنري تشرشل في كتابه **حياة الأمير**، ص ٢٤٦. للمزيد :
تقي الدين الحصني، **منتخبات تواريخ دمشق**، ١٩٣٥، ص ٧٤٠.
- ٤١- السيد سابق، **فقه السنة**، ٣ مجلدات، دار الفكر، دمشق، ج ٣، ص ١٣٨.
- ٤٢- النص منقول حرفياً دون إجراء أي تصحيح فيه، محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر**، ص ٥٢٧. للمزيد: عندما هوجم لامورسيير في مجلس النواب لعدم أسره الأمير قال: إن اتهاماً وجه إلي لأنني دخلت في مفاوضات بدل مواصلة الهجوم ؟ كنت سأسر قافلته كنت سأقوم بغارة لا أكثر. أما هو وفرسانه فيكونون قد انطلقوا إلى الصحراء. تشرشل، **حياة الأمير**، ص ٢٤٧.
- ٤٣- محمد عبد القادر، **تحفة الزائر...**، نشر ١٩٦٤، ص ٥٢٨.
- ٤٤- محمد عبد القادر، **تحفة الزائر**، ١٩٦٤، ص ٥٢٨. أيضاً أورد شارل هنري تشرشل نفس الفكرة. للمزيد: تشرشل، **حياة الأمير**، ص ٢٤٧.
- ٤٥- محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر**، طبعة ١٩٠٣ م، ج ٢، ص ٤١.
- ٤٦- للتفصيل: تشرشل، **الأمير عبد القادر**، ص ١٧.
- ٤٧- للمزيد عن هذه الأسئلة والأجوبة: محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر**، نشر ١٩٠٣ م. ج ١، ص ١٦١-١٨٥.
- ٤٨- مؤخراً منحت مؤسسة (الأوسيمي) السويسرية، الغير رسمية، جائزتها السنوية الثالثة في التسامح إلى اسم الأمير عبد القادر الجزائري تقديراً لدوره كأحد أبرز مؤسس القانون الإنساني الدولي وحقوق الإنسان، وتسلم الجائزة حفيد الأمير السفير إدريس الجزائري مندوب الجزائر الدائم لدى الأمم المتحدة الذي أبرز في كلمته فكر الأمير ودوره في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وفي وضع اللبنة الأساسية للجزائر الحديثة. وركز على جوانب مختلفة من حياة الأمير الراحل كرجل دولة وعالم دين وشاعر وفارس.
- ٤٩- تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، ص ٣٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ١ - البيطار: عبد الرزاق، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجة البيطار، ٣ أجزاء، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، ١٩٦٣م، ج ٢.
- ٢ - تشرشل: شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وقدم له وعلق عليه الدكتور أبو القاسم سعد الله، طبعة ثانية، الجزائر، ١٩٨٢، ص ٧.
- ٣ - الحصني: تقي الدين، منتخبات تواريخ دمشق، ١٩٣٥.
- ٤ - الجزائري: محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر، الإسكندرية مصر، ١٩٠٣، جزءان في مجلد واحد.
- ٥ - الجزائري: محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م.
- ٦ - مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة ١٨٤٩م، تنشر لأول مرة، تحقيق: محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح أيجون، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، ٢٠٠٨.

ثانياً: المراجع العربية:

- ١ - زيادة: نقولا، التاريخ ضروريه وأبعاده، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٢ م.
- ٢ - سابق: السيد، فقه السنة، ٣ مجلدات، دار الفكر، دمشق، ج ٣.
- ٣ - سعد الله: أبو القاسم، أبحاث وآراء تاريخ الجزائر، ٣ أجزاء، دار المغرب الإسلامي، بيروت، الجزء ٢.
- ٤ - عثمان: حسن، منهج البحث التاريخي، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٧٠.
- ٥ - العقاد: صلاح، المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، القاهرة، ١٩٨٠.

٦- فارس: محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث، طبعة ثانية، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٤١

٧- عدد من الأساتذة، معجم أعلام الجزائريين في القرن التاسع عشر والعشرين، منشورات تاريخية وفلسفية، جزآن، جامعة منتوري، قسنطينة، طبعة أولى، ٢٠٠٢ م.
ثالثاً: المراجع العربية:

١- إيتين: برونو، عبد القادر الجزائري، ترجمة: المهندس ميشيل خوري، طبعة ثانية.

٢- لوتسكي: فلاديمير، تاريخ الأقطار العربية الحديث، الطبعة التاسعة، بيروت، ٢٠٠٧، الجزائر، ٢٠٠١.

رابعاً: الندوات العلمية:

١- السعيد: قاصري محمد، العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمن من ١٨٣٣-١٨٤٧، ندوة علمية من تنظيم فرقة البحث: أثار السياسة الاستيطانية في المجتمع الجزائري ١٨٣٠-١٩٦٢، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، ٢٠٠٢ م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

1- Ch. A. Julien: *Histoire De l' Agerie Contemporaine* , Paris , 1964.